مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
المجلد (١٦) العدد (١) كانون الثاني (٢٠٠٩)

المرأة في شعر الخوارج

م.م. إبراهيم حسن صالح
جامعة تكريت / كلية التربية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتخبين.

أما بعد :

فإن اختيار موضوع البحث من الأمور الصعبة التي تواجه الباحث منذ بداية البحث، لان كل ماله صلة به سيقع على عاتق الباحث، وسيكون هو المسؤول عنه، لذا جاء الموضوع (المرأة في شعر الخوارج) بعد دراسة وبحث ومفاضلة بين موضوعات عديدة، ولو تسألنا عن الجديد في هذا الموضوع أنه على الرغم من كثرة الدراسات التي تحدثت عن شعراء الخوارج إلا أن البحث قد طرح أفكاراً وآراءاً جديدة.

والجدير بالذكر أن هذا الموضوع لم يكتب به بحث مستقل، وبالنظر لإكثار شعر الخوارج من ذكر المرأة في قصيدهم، وهي ظاهرة لافتة للنظر.

أردت أن أقف عليها بالدرس والتحليل والخروج بالنتائج الطيبة إن شاء الله تعالى.

وأقتضت طبيعة خطة هذا الموضوع أن تكون على وفق ما يأتي :

المرأة الخارجية رمز التحدي ومشروع استشهاد.

المرأة الخارجية أم وزوجة وربة بيت.

المرأة الخارجية من خلال الغزل العذري.

ومهما صادفت من صعوبات رأيت أن الموضوع يدفعني للبحث والدراسة المستفيضة، وقد حاولنا في دراستنا أن نبين كافة الجوانب التي تتعلق بـ (شعر الخوارج).

وسبب آخر شد إنتباهي وأثار دهشتي، إلاّ وهو قضية (التجديد في الشعر العربي)، ومع أن المؤلفين قد اشبعوا هذه القضية بحثا وتمحيصاً، إلاّ أنهم تجاهلوا (شعر الخوارج)، وأبعدوه، مع انه الرائد والمجدد.

إلى جانب هذه الأسباب، هناك أسباب أخرى دفعتني الى الكتابة عن (شعر الخوارج)، فشعرهم لم يحظ على جودته وتفرده بالاهتمام الكافي من قبل الكُتّاب والمؤلفين في الماضي والحاضر، ويقول إحسان عباس : منذ أن كتبت الدكتورة (سهير القلماوي) رسالتها في أدب الخوارج، وتصدى الأستاذ (احمد الشايب) للحديث عن أدبهم في كتابة (الشعر السياسي في العصر الأموي).

وقد بدأت هذه الدراسة بمقدمة بينت فيها أسباب اختياري لهذا الموضوع، وأرجو أن تكون هذه الدراسة مكملة لدراسة حركة من حركات الشعر العربي، وظلت بعيدة عن الضوء، وتعاني الكثير من الفراغ والنقص، فلم تكتمل حلقاتها، ولم تنتظم صفوفها.

وقد بينا أن (شعر الخوارج) قام على الاعتقاد الكامل بالالتزام بالعقيدة، ثم تطرقت إلى النواحي الفنية التي غلبت على شعر الخوارج من حيث عناصره، ووحدة موضوعه، ووروده على شكل مقطعات، وهذا من ((الناحية الفنية)).

أما من ((الناحية الموضوعية))، فأن شعر الخوارج دار حول غرض واحد هدفه خدمة العقيدة، لذا فأن الموضوعات التي طرقوها بشعرهم مع تعددها تنبع من إيمانهم، وتسير لخدمة المبدأ، وقد حاولت حصر هذه الموضوعات التي دارت في أشعارهم، فوجدتها تقتصر على الإيمان الكلي بالمبدأ والشجاعة المتطرفة، وكذلك فأن (فكرة الموت)، قد أفردت لها مساحة لا بأس بها من البحث، ثم بعد ذلك موضوع الحض على الثورة، والدعوة إلى الخروج، والتنفير من القعود، والألم من الفرقة، وخلو هذا الشعر من العصبية القبلية.

المرأة الخارجية رمز للتحدي ومشروع استشهاد

إذا إنتقلنا إلى العصر الأموي وجدنا المرأة مساهمة في القتال الذي نشب بين الجماعات، والأحزاب كـ (غزالة السكونية) و (أم حكيم) اللتين اشتهرتا بالشجاعة والإقدام[١].

وإن المرأة العربية في تلك الحقبة لا تعيش بمعزل عن حياة العرب، لذا لابد لها من خوض حروبهم التي يتعرضون لها[٢].

أما ما ذكر للمرأة من أشعار في رفع حماس الرجال، فلقد ذهبت المرأة فيه مذاهب متعددة، فتارة تصحب الرجال إلى ارض المعركة لتشهد أفعالهم وشدة بأسهم، ولا سيما أولئك الرجال الذين يبذلون أقصى درجات الشجاعة بحضور النساء، وتارة أخرى تذهب مع نسوة له يضربن الدفوف ليلهبن مشاعر الرجال ويهيجن مكامنهم.

ولا نبالغ إذا قلنا، إن رفع حماسة المرأة، وتحريضها للرجال قد كثر في العصر الأموي، ولهذا سببان: أحدهما: إن المرأة في هذا العصر تختلف عن التي عاشت قبلها، لكون الأخيرة قد عاشت في عصر صدور الإسلام، وتربت فيه، ولم تحمل من شوائب المجتمع القديم، فلذا نجدها شديدة الإيمان بدينها متفتحة الذهن، ومنيرة العقل، وأما الثاني، فأن كثرة الاضطرابات والفتن التي صاحبت هذا العصر، قد جعلت المرأة أكثر جرأة، وشجاعة لرفع حماسة الرجال، وتحريضهم لقتال عدوهم.

ولعل ابرز الطوائف التي تعرضت للحروب والقتال (الخوارج)، إذ كانوا يتفانون في القتال حتى الموت، فيعدون الاستشهاد غايتهم الكبرى، فلذلك طعنت هذه الغاية في شعرهم الحماسي، فهذه (أم حكيم).

تصرخ بذلك وتتمنى الموت، وقد تميزت بأنها أشجع نساء الخوارج، وأجملهن وجهاً، وأحسنهم بدينهم تمسكاً، وكانت تحمل على الأعداء، وهي ترتجز[٣].

أَحْمِلُ رأساً قَدْ سَئِمتُ حَمْلَهُ
وقَدْ مَلِلتُ دَهنَهُ وغَسْلَهُ
أَلا فتىً يحملُ عنِّي ثُقلَهُ

إبتعدت هذه المرأة عما يهم النساء من زينة ورياش، واتخذت من مبدئها زينة لها، وقد تغلغل زهد الحياة في نفسها حتى بلغ منها كل مبلغ.

وقالت إحدى (نساء الخوارج)، وقد أقامت في عسكر الضحاك سنين، فتناولت العديد من المفردات التي تحدثت عن هذه القضية، فقالت [٤] :

تَركتُ رمحاً ليناً مسَّهُ... وجِئتُ رمحاً مسَّه قاتلُ
شتانَ هذا بدمٍ سائلٌ ... وَذلكَ منهُ عسلٌ سائلُ
مطعون ذاكُم مِنهُ في لذةٍ... وأمُّ مطعونٍ بذا ثاكلُ
مُرّوا بِنا ترجع إلى ديننا... فكلُّ دينٍ غيرهُ باطلُ

تتحدث هذه المرأة عن الشجاعة والجرأة في قتال العدو، وتبين بسالتها فيما يتعلق بالحرب، فهي تضع مفردات معينة جاءت مناسبة في سياق النص مثل (رمحاً – قاتل – دين)، فتصبح لديك وجهة نظر معينة لدى هذه الألفاظ.

ولسان حالها يقول: (تركت رمحاً...)، ليدل ذلك على الاستمرار في القتال لان الأفعال التي وجدناها في النص، تدل على عدم الثبوت والاستقرار.

فهي تتكلم بلغة واضحة، وخصوصاً قضية الجهاد، والالتزام بتعاليم الدين الإسلامي كقولها (فكل دين غيره باطل)، فتارة تقول (ديننا)، وتارة أخرى تقول (دين) ليصبح تباين في الألفاظ، بحيث يحدث إيقاع جميل في هذا النص الشعري. وإذا انتقلنا إلى إحدى (نساء الخوارج)، وهي مشروع استشهاد، ورمزاً للتحدي، بل إنها تستطيع المشاركة في الحرب، وقتال الأعداء في كل وقت.

فيتضح لنا ذلك في النص الشعري الذي التمسنا منه مفهوم الشجاعة، والقدرة على القتال، وقالت ((مريم)) وهي ترتجز [٥] :

أَنا إبنة ُالشيخ الكريم الأعلمْ
مَنْ سأل عن إسمي فإسمي مريمْ
بِعتُ سِواري بسيفٍ مِخذَمْ

يتبادر إلى الأذهان بأن فكرة الموت كانت عند (شعر الخوارج) فقط، ولكن هذه الفكرة أصبحت ملازمة لنساء الخوارج من خلال النصوص التي وجدناها للنساء في تلك الحقبة، فتوحي لنا هذه الأرجوزة التأكيد على القتال، وترك عرض الدنيا، والتفكير بالآخرة،

فقد ميزت نفسها عن غيرها، فقالت بصريح العبارة بأنها (مريم)، وقالت: (بعت سواري بسيف مخذم).

للدلالة على مشاركتها للرجل في الحروب، كما تكررت لفظة (إسمي) لتوحي للقارئ بأن هذا هو التأكيد، وفيه فائدة.

فيدل على تمكن (المرأة) في ذلك الوقت، وامتلاكها القدرة الفائقة في القتال، والاستمرار في هذا المضمار، وهي تعد رمزاً للتضحية والفداء، والجرأة والشجاعة الباسلة.

المرأة الخارجية أم وزوجة وربة بيت

كرم الدين الإسلامي المرأة، ولقد كرم مقامها كأم، بقولة تعالى : {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً} [٦].

وقد وردت تعريفات عديدة لمصطلح (الأم)، حيث ورد تعريف الأمومة لغةً : الأم في كلام العرب أصل كل شيء، واشتقاقه من الأم، وزيدت الهاء في الأمهات لتكون فرقاً بين بنات ادم، وسائر إناث الحيوانات[٧].

إن الإسلام قد رفع مكانة المرأة بصورة عامة، وكانت نظرته إليها إنسانية، حيث أعطاها مكاناً اجتماعياً كريماً في مختلف مراحل حياتها، وكافة علاقاتها الاجتماعية[٨].

وجاء تعريف الأمومة في (قاموس الإنثروبولوجيا) ((ما نصّهُ اعتراف المجتمع إن امرأة ما أم لفرد أو أكثر من أفراد، ويشمل الاعتراف تحديد واجبات الأم، ومسؤولياتها حيال ذلك الفرد أو الأفراد، ودورها في المجتمع))[٩].

إن الأم هي الرمز الإنساني للقيم العالية، فهي المعين الذي تتفجر من أحضانه الأجيال، وهي الطاقة التي تمد الحياة بعناصر الديمومة والبقاء، ولولاها لم تتكون الأسرة، ولم تبق المثل والأخلاق السامية، ولولاها لفقدت المجتمعات عناصرها الضرورية في التكون والتكوين، فهي ينبوع الحب النزيه المجرد من شوائب الأنانية النفعية، وهي التضحية والإيثار، والحنان النقي، حيث تغرس في أبنائها كل السجايا الراقية، وتواصل أيامها ولياليها كي تمنحهم الكيان بعون من الله وتوفيقه، لذلك نرى الشعراء خصوها بثنائهم [١٠].

ونجد أخريات لا يقلن شأناً عن سابقاتهن يحرضن أولادهن على القتال ضد أعدائهم، فهذه(أم البراء بنت صفوان)، تحرض ولدها، فتقول [١١] :

يا عمرو دُونَك صارماً ذا رونقٍ....عضبَ[١٢] المهزَّةِ ليس بالخوارِ
أسرح جوادكَ مُسرعاً ومُشمراً.... للحربِ غير مُعردٍ لفرارِ
أجب الإمامَ ودُبَّ تحتَ لوائهِ.... وافرِ[١٣]العدُوَّ بصارمٍ بَّتارِ
يا ليتني أصبحتُ ليس بِعورةٍ.... فَأذبَّ عنهُ عساكرَ الفُجّارِ

تفصح لنا أبيات (أم براء) عن مدى الغل في صدور هذه المرأة ضد الأعداء، فهي لا تكتفي بتحريض ولدها لمقاتلتهم فحسب، بل تتمنى لو أنها تستطيع المشاركة في قتالهم وحربهم.

وبالمعنى نفسه كان في قول (سودة بنت عمارة بن الاشتر)، حين تحرض أخاها للقتال، فتقول[١٤]:

شَمَّر لفعل أبيكَ يا أبنَ عمارةٍ... يومَ الطَّعان ومُلتقى الأقرانِ
وَأنُصر علياً والحُسينَ ورهطهُ... وَأقصد لهندٍ وإبنها أهوانِ
إنّ الإمام اخو النبَّي محمد... عَلمُ الهُدى ومنارةُ الأيمانِ
فَقدِ الجيوش وسير إمامَ لوائهِ... قُدماً بأبيضَ صارمٍ وسنانِ

ويتضح من كل ما تقّدم أن مساهمة المرأة في القتال تتراوح بين القول والفعل، نجد (سودة) في هذه الأبيات، توضح لنا هذا الحوار المستمر، فاختارت بعض المفردات المناسبة، التي تلائم عنوان هذا النص الشعري، وتحاول أن تذكر ابنها بشجاعة الرسول ﷺ، والصحابة، فقالت:-

((شمر لفعل أبيك يا ابن عمارة))، فاختارت بعض المفردات مثل (النبي – محمد ﷺ – الجيوش – أبيض – صارم) لتجعل التناسق يستمر إلى نهاية القصيدة. وقال رجل من الخوارج[١٥]:-

أمُّكَ خيرٌ لكَ مني صاحباً

تُسقيكَ مَحْضاً وتَعُلُّ رائياً

في هذه الأرجوزة كلام جميل، وتعبير رائع بخصوص الأم، بحيث نجد المفردات تعطي مفهوماً واحداً الا وهو دور الأم كقولة (أمك)، ويحاول الشاعر أن يجسد شخصية الأم بأحسن الألفاظ التي تستحقها.

وهذه (أم عمران بن حارث الراسي)، يستشهد ولدها، فلم تجزع أو تحزن، وإنما تحمد الله وتشكره الذي أنعم على ولدها، ورزقه الشهادة على يدي أعدائه الكفرة، فتقول[١٦]:-

اللهُ أيَّد عمراناً وطهَّرهُ... وكان عِمرانْ يدعو الله في السحَّرِ
يَدْعوهُ سرّاً وإعلاناً ليُرزقهُ... شهادة ًبيديْ ملحادةٍ غدرِ

هذه الروح المتأففة من الحياة سرت في الخوارج رجالاً ونساءً سريان النار في الهشيم، وتحولت إلى مبدأ من مبادئهم كرسوها في خروجهم الدائم.

فلم يتستروا خوفاً وتقية كالشيعة الذين كانوا يعتقدون مبدأ التقية، بل كانوا يخرجون من قلة، ويجاهرون برأيهم ضد مخالفيهم بلا خوف أو وجل، وهمهم الوحيد هو نيل الشهادة في سبيل المبدأ[١٧].

((الزوجة)) :-

إن للزوجة في حياة الرجل وقلبه مكاناً مميزاً لا يستطيع ملء هذا القلب سواها، فهي الصدر الذي يشعر بالألفة والأمان، والمشجع الذي يمده بالعزيمة والثبات، فهي الرفيقة التي طالما تحملت معه أعباء رحلتها الطويلة بفرحها وحزنها حتى تتوحد معه في شركة روحية يصورها القران الكريم، بصوره أروع ما يكون، حيث يصف هذه العلاقة الناضجة في سورة الروم، بقوله تعالى[١٨]: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}.

فالزوجة على ما جاء في هذا الوصف الدقيق نفس الرجل، أو شطر نفسه، والسكن الذي قوامه المودة والرحمة، إذ أن المرأة في كل عصر هي مصدر الإلهام والحسب والجمال[١٩]. وقال ((يزيد بن حبناء)) [٢٠] :-

دعي اللومَ إنَّ العيشَ ليس بدائمِ... ولا تعجلي باللوم يا أمَّ عاصمِ
فإنْ عَجلتْ مِنكِ الملامـة فأسمعي... مقالـة معنّي بحقكِ عالمِ
ولا تعذلينا في الهدَّية إنما... تكونُ الهدايا من فضولِ المغانمِ

في هذا الحوار بين الشاعر وزوجته، نجد زوجاً باراً يعلم حقوق زوجته عليه تمام العلم، ولكنه يطلب منها بأسلوب إقناعي أخاذ أن تجد له عذراً، فلا تعذله في الهدية لأن الهدايا – في نظره – لا تكون إلا من فضول المغانم، ثم يقدم بين يدي زوجته عذراً فيه من وصف حالته وحالة إخوانه ما فيه من إشفاقه على زوجته، ومعرفته بمكانها وقدرها، ولكنه لا يستطيع تقديم هديته التي يتمنى لو كان ذلك باستطاعته [٢١].

وقال ((مالك المزموم))[٢٢]، وفي رثاء زوجته (أم العلاء) :-

أمرزْ على الجدث[٢٣] الذي حلَّتْ بهِ... أمُّ العلاء فنادها لو تَسمعُ
أنى حللتِ وكنتِ جسدَّ فَروقةٍ[٢٤]... بلداً تَمُرّ بهِ الشجاعُ فيفزعُ
صلى إلا لهُ عليكِ مِن مفقودةٍ... إذ لا يلائمكِ المكانُ البلقعُ [٢٥]

وجاءت لفظة (الخوارج) في المفهوم اللغوي، بأنها من الفعل الثلاثي (خَرَجَ). (الخاء والراء والجيم أصلان، وقد يمكن الجمعُ بينهما، إلا أنا سلكنا الطريق الواضح. الأول : النفاذ عن الشيء.

والثاني اختلاف لونين : فأما الأول فقولنا خَرجَ يَخرجُ خُروجاً. والخُراج بالجسد. والخَراج والخْرج : الاتاون، لأنه مالٌ يخرجهُ المعِطى.

والخارجي : الرجل المسَّود بنفسه، من غير أن يكون له قديم، كأنه خرج بنفسه[٢٦].

وقال صاحب لسان العرب: (الخَرْجُ : اسم موضع باليمامة. والخَرْجُ : خلاف الدَّخْلِ. وَرجلٌ خُرجةٌ ولُجةٌ مثال هُمزة أي كثير الخروج والولوج)[٢٧].

وقال أحد الخوارج لامرأته، وأرادت أن تنفر معه [٢٨] :-

إنّ الحرورية الحَّرى إذا ركبوا... لا يستطيعُ لهم أمثالكِ الطلبا
إنْ يركبوا فرساً لا تركبي فرساً... ولا تُطيقي مع الرَّجالة الخببا

إن الشاعر في هذين البيتين، يوضح الحوار المستمر مع زوجته، وهي تريد البقاء معه، ويحاول أن لا يرد لها طلب – فيقول (أن يركبوا) وثم يعاود، فيقول (لا تركبي)، ففي هذا الكلام نهي بدليل وجود (لا) الناهية.

(والحرورية) ويسمونها نسبةً إلى حروراء، قرية خرجوا إليها أول الأمر.

يقول (المُبّرد): وكان سبب تسميتهم الحرورية أن علياً لما ناظرهم بعد مناظرة (إبن عباس) " رحمهُ الله إياهم، فكان مما قاله لهم: (ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قُلت لكم : إن هذه مكيدة ووهن....).

وبعد أن بيّن لهم صحة رأيه في قضية التحكيم بدءاً ونتيجة يضيف ((المُبّرد)):-

(ورجعَ معهُ ألفان من حروراء، وقد كانوا تجمعَّوا بها، فقال لهم علي : ما نسميكم ؟ ثم قال : أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء)[٢٩].

وقد دار هذا الاسم في أشعار الخوارج وأشعار غيرهم، كما يقول (القعقاع بن عطية الباهلي)[٣٠]:-

أكِرُّ على الحروريينَ مُهري... لأحْملهم على وضَحِ الصَّراطِ

وكانت (غزالة) زوجة (شبيب الخارجي)، قد نذرت إن دخلت الكوفة لتصلين بالمسجد ركعتين تقرأ فيهما (سورة البقرة) (وأل عمران)[٣١].

يدل هذا القول على الشجاعة والبسالة التي أتسمت بها (نساء الخوارج)، فالأمر لا يقتصر على الرجال فقط، إنما للنساء حصة كبيرة من الجرأة والأقدام على فعل الخير في كل وقت وحين.

ويكاد (شعر الخوارج) كله يذهب في عدة أغراض محددة يجمعها الجهاد في سبيل العقيدة[٣٢]، وخير دليل على ذلك هذا البيت الشعري لـ (قطري بن الفجاءة)، الذي يقول فيه[٣٣]:-

لعُمرك إني في الحياةِ لزاهدٌ... وفي العيشِ ما لم ألقَ أُمَّ حكيمِ

يبدأ الشاعر بذكر زوجته وشوقه إليها، وقبل أن يكمل لنا وصف ما ينتابه من شعور تجاه زوجته ينتقل فجأة إلى ساحة المعركة، فيصف انتصاره وشجاعته، ويصف لنل مشاهد من المعركة ويقول:-

من الخفراتِ البيضِ لم يُر مثلها... شفاءً لذي بثَّ ولا لسقيمِ
لعَمرْكَ إني يوْم ألطِمُ وجهها... على نائباتِ الدهَّرِ جدُّ لئيمِ

إن الشاعر بدأ قصيدته (بإشارة غزلية)، ولكنا نرد قائلين : إنه توسل بهذا الغزل الخفيف للوصول إلى الغرض الأساسي، ألا وهو غرض الجهاد في سبيل الله، والدعوة إليه[٣٤].

فالنفس البشرية مهما تطرفت في رفضها للحياة، لا بد وأن نرى غريزة حب البقاء على الجانب الأخر، ويتمثل صدق هذه النظرة في (عمران بن حطان)، وهو يخاطب زوجته (جمرة) فقال [٣٥] :-

إنْ كُنْتِ كارهةً للموتِ فارتحلي... ثُمَّ أطلبي أهل أرضٍ لا يموتوُنا
فلستِ واحدةً أرضاً بها بشرٌ... إلاّ يروحونَ أفواجاً ويغدونا

هذا الحوار الدائر بين الشاعر وزوجته ليس إلاّ حواراً بين الشاعر ونفسه، فـ ((عمران)) يعبر تعبيراً صادقاً عما يجول بنفسه من حبة للحياة، وكرهه للموت، ولكنه يحاول إقناع نفسه بمسلمات بديهية.

فالشاعر استطاع أن ينتقي بعض الألفاظ المناسبة، والتي وردت في النص مثل (الموت- أهل الأرض – بشر – أفواج) فيدل على تناسق تام مع إيقاع جميل، وهذا بطبيعة الحال يدلنا على الفكر العالي الذي يجول في نفس الشاعر.

المرأة الخارجية من خلال الغزل العذري

(الغزل) لغةً :(حديث الفتيان والفتيات، واللهو مع النساء، ومغازلتهن : محادثتهن ومراودتهن، والتغزل : التكلف لذلك.

وقيل (شبب بالمرأة، وقال فيها الغزل والنسيب، وهو يشبب به أي ينسب بها)[٣٦].

(إصطلاحاً): غرض من أغراض الشعر التقليدية،ويقول على عاطفة الحب الفطرية بين الرجل والمرأة يذكر محاسن النساء في ألفاظ حلوة، ومعادن سهلة وكلام ظاهر[٣٧].

وقد دارت في كتب الأدب والتاريخ هذه الكلمات الثلاثة : الغزل، النسب والتشبيب، واختلف القدماء فيها، فبعضهم يراها بمعنى واحد لا إختلاف فيها.

فهذا (قدامه بن جعفر) يقول : ((إن الغزل هو المعنى الذي اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجلة فكان النسيب ذكر الغزل والغزل المعنى نفسه))[٣٨].

إن العلاقة بين الزوجين، إستناداً إلى الآية الكريمة {وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}[٣٩]، فيحكمها الحب والود، ولئن كان هذا معدوماً قبل الزواج أو كان موجوداً لم تستطيع المرأة التحدث به، فأنه بعد الزواج يصبح فعلاً تسيغه الشريعة، ويقبل به العرف، فلا جرم إن وجدنا كثيراً من ألا زواج يتغزلون بزوجاتهم وبالعكس [٤٠].

وهناك ملامح جزئية من خلال (الصورة الحسية) لدى المرأة، أو وصفها من قبل الشاعر، فنجد إن الشاعر الأموي أهتم بتقليد الشاعر الجاهلي، لأن ذلك يصدر من واقعة الذي يعيش فيه[٤١].

أما المرأة من خلال (الصورة الذهنية) فهي الصورة التي يستمدها الشاعر من إحساسه الخاص في اللحظة التي يبدأ فيها في صناعة قصيدته، وهذه القصيدة التي تتصدرها (الصورة الذهنية) ليست المرأة موضوعها، حتى وإن ذكر أسمها في مطلعها[٤٢].

أما (الإحالة في الغزل) فتبين كيفية تقديم الغزل على سائر الفنون، فيذكره الشاعر في مقدمة قصيدته، ويفتتحها به، وكانت طريقتهم في(الغزل) حسية مادية، فيذكر الشاعر محاسن معشوقته فيصف قوامها، ثم يتشوق إليها، ويذكر أيامه معها.

وفي (الغزل) لابد للشاعر من ذكر أحبابه وخلانه، والتشوق إليهم، والشعراء الخوارج ليسوا نسيج وحدهم بين البشر، فلم يتغزلوا أو يتشوقوا، لا بل هم تغزلوا وتشوقوا، ولكنهم جعلوا (الغزل) جسراً يعبرون عليه إلى أرض المعركة، وهنا تتجلى قوة الإرادة والصبر، فعلى الرغم من حنينه ولهفته لذكر أحبابه، فأنه يتركهم مسرعاً دون أن يصف هذا الشوق، وهذه الحرقة، وكأنه في عجلته هذه يلتفت بطرف عينه إلى أحبته، وبباقي عينية إلى حبه الأكبر الا وهو الجهاد والتضحية في سبيل الله.

فقال (ابن أبي مياس المرادي) [٤٣]:-

تضمنُ للحسناءِ لا درّ درهُ... فلاقى عِقاباً عزهُم غيرُ مضرمِ

في هذا النص الشعري تجسيد لشخصية المرأة في أحسن صورة، ومن خلال الغزل العذري الذي يتضح لنا في قول الشاعر، فأعطاها لفظة مناسبة مثل ((حسناء)) فهي تدل على جمالية المرأة بهذا الوصف الرائع، وبأحسن ما يكون.

وقال (شريح بن أوفى)[٤٤]:-

قد علمتْ جاريةٌ عبسّيةٌ
ناعمة في أهلها مكفيةٌ

يستخدم الشاعر في هذه الأرجوزة أفضل الصفات كذكره (جارية – عبسية – ناعمة)، بحيث يرفع من شأنها في هذا النص. ونجد في هذه الكلمات إيقاعاً جميلاً، ونسقاً موسيقياً رائعاً، وتداخل الكلمات بطريقة لطيفة جداً.

وقال (زياد الأعسم) [٤٥]، حين خرج :-

تُعاتبني عرسي على أنْ أطيعُها... وقبل سُليمى ما عَصيتُ الغوانيا
فكفي سليمى وأتركي اللومَ إنني... أرى فتنةً صّماء تُبدي الغوانيا

من كلام الشاعر في هذين البيتين لمسنا رؤية خاصة لحوار الشاعر بصورة لطيفة، وفيها يذكر ألفاظ تدل على (الغزل العذري)، فيقول (تعاتبني)، ليدل الحديث عن المرأة، ثم يقول (الغوانيا)، ويعاود مرة أخرى، ويقول (سليمى)، فيكررها مرتين ليدل ذلك على القدرة الشعرية لدية في هذا الحديث.

أما الشاعر (عمرو بن الحصين العنبري)[٤٦]، فيقول:-

هبَّتْ قبيل تبلـج الفجرِ... هِندٌ تقولُ ودمعها يَجري
إذ أبصرت عيني وأدمُعها... يَنهلُ وأكفُها على النحرِ
أنى أعتراكِ وكنتِ عهدي لا... سربَ الدموع، وكنتِ ذا صبرِ

عندما تقرأ هذه الأبيات تظن إن هِنداً تبكي من لوعة الحب لفراق أليفها وابتعاده عنها، وتظن أنها تواسيه عندما رأت دموعه تنهل على النحر بعد أن تبلل وجهه بدموع الحرقة والأسى لهذا الفراق المفاجئ.

فيختار بعض المفردات التي تدل على الحزن ولوعة الحب (دمعها يجري) و (أكفها على النحر) و (سرب الدموع).

ويقول((قطري))..... فكان المقاتل في ذلك الوقت ينتظر مقتله، وكأنة ينتظر محبوبته، وهي في انتظاره، فإذا أخلفت موعدها معه ضجر، وكما يقول (قطري)[٤٧]:-

حتى متى تُخطئني الشهادةُ... والموتُ في أعناقها قِلادةٌ

فهذا الانتظار تحول إلى أمل ودعوة إلى لقاء هذا الموعود كما هو مبين في أعلاه ففي صدر هذا البيت يكون الحديث عن التضحية والاستشهاد في سبيل الله، أما العجز فتصدرت في بدايته كلمة (موت)، دلالة على أن الشاعر وضع في الحسبان الشهادة لا محالة مع ذكر المحبوبة في نفس اللحظة. وهو بطبيعة الحال يندرج تحت مسمى حداً إلاّ وهو ((الغزل العذري)).

الخاتمة

لكل مطاف نهاية، ونهاية مطافنا سرد خلاصة لما قدمناه من محاولة الخوض في أشعار الخوارج، ولا سيما فيما يتعلق بالمرأة.

وتبين لي أن موضوع (المرأة في شعر الخوارج) لم يدرس دراسة جدية من قبل الباحثين.

لذا فقد كان قصدنا بهذا البحث أن نلقي الأضواء على أثار الخوارج الشعرية، وجهودهم الصادقة، وعزمهم الأكيد في هذا الميدان الذي أقاموه صيانة للدين، ودفاعاً عن المنهج الإسلامي القويم.

ومن خلال ذلك يتضح لنا مشاركة المرأة والوقوف إلى جنب الرجل في كل المواقف التي تستوجب ذلك.

فقد توصلت إلى نتيجة واضحة من خلال دور المرأة كمشروع للتحدي والاستشهاد ووقوفها إلى جنب الرجل.

وبعد ذلك بينت النصوص الشعرية التي قبلت في معنى التضحية والاستشهاد في سبيل المبدأ، وهناك نساء من الخوارج لهن النصيب في قول الشعر.

وقد إستعرضت الموضوعات التي دارت في أشعارهم بخصوص المرأة موضحاً تعدد هذه الأغراض التي استغرقت شعرهم، وبعدها ذكرت دور الشعراء في رثاء زوجاتهم من خلال هذه النصوص، وتعداد هذه الصفات التي اتصفت بها المرأة الخارجية في تلك الحقبة.

وبعدها تناولت النصوص الشعرية التي نطق بها شعراء الخوارج والتي تتعلق بـ (الغزل العذري) الذي جسد فيه الشعراء الشخصية البارزة للمرأة في ذلك الوقت. وهذا الكلام الذي تحدثنا به عن (المرأة في شعر الخوارج) يتضح لنا جلياً الدور الكبير والرائع للمرأة، فنجدها أم وزوجه وربة بيت، وتملأ الحياة على الرجل وكذلك مشاركتها في الحروب إذا استوجب ذلك.

في هذا الجهد المتواضع حاولت أن أصل إلى حقيقة غابت عن الكثير من الباحثين وهي (المرأة الخارجية) واهتمامها الكبير بالقضايا الأساسية التي تتضمن الشجاعة والأخلاق، ومساندتها للرجل، مع الاستشهاد بنصوص شعرية لبعض نساء الخوارج، ويبدو ذلك واضحاً من احد النصوص التي قيلت لأحدى نساء الخوارج في التأكيد على الاستشهاد في سبيل الله وترك ملذات الدنيا.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير من بعث للناس أجمعين محمد ﷺ.

الهوامش

١- الأغاني لأبي فرج الأصفهاني علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ) – مطبعة – دار الكتب – وزارة الثقافة – ١٩٧٦ – مج ٦ / ١٤١.

٢- ينظر كتاب شعر المرأة في القرن الأول الهجري – أغراضه وميزاته الفنية – د. شاكر محمود السعدي – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م /١٧٠٠.

٣- شعر الخوارج – دراسة فنية موضوعية مقارنة – د. عبد الرزاق حسين – دار البشير – عمان – الطبعة الأولى – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦ /١٠١.

٤- ديوان شعر الخوارج – جمع وتحقيق د. إحسان عباس – دار الشروق – الطبعة الرابعة – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م / ٢٢٤.

٥- المصدر السابق / ٢٥٤.

٦- الأقحاف : ١٥.

٧- لسان العرب المحيط – ابن منظور – تحقيق يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب – بيروت / ١١٠.

٨- ينظر المرأة في الأدب العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، واجد الاطرقجي – رسالة دكتوراه /٩.

٩- قانون الانثروبولوجيا – سليم شاكر مصطفى – جامعة الكويت – ط ٥ – ١٩٨١ / ٦٤٥.

١٠- المرأة في الشعر الجاهلي د. أحمد محمد الحوفي – دار الفكر العربي – مطبعة المدني – ط (٢) بيروت – ١٩٦٢ /٨٥.

١١- بلاغات النساء : لأبي الفضل احمد بن أبي طاهر الملقب بطيفور ت ٢٨٠هـ – دار النهضة الحديثة – بيروت – لبنان – ١٩٨٢م /١١٠.

١٢- عضب : قاطع، الخور : الضعيف، معرد : من عرد هرب.

١٣- وافر : من فراه شقه.

١٤- العقد الفريد – الأندلسي ت٣٢٨هـ – شرحه وضبطه – احمد أمين – مطبعة التأليف والنشر – القاهرة – ١٩٤٨ – ج٢ / ١٠٢- ١٠٣.

١٥- ديوان شعر الخوارج /٩٢.

١٦- شعر الخوارج / ١٠١ – ١٠٢.

١٧- شعر الخوارج / ١٠١. ١٠٢.

١٨- الروم: الآية ٢١.

١٩- صورة المرأة في الشعر العربي الأموي – ساجدة الخيالي – رسالة ماجستير – كلية التربية للبنات – جامعة بغداد – ١٩٨٨ /٧٠.

٢٠- هو احد شعراء الخوارج في زمن عبد الملك بن مروان، وينظر ديوان شعر الخوارج /٩٩.

٢١- ينظر م : ن / ٨٧ – ٨٨.

٢٢- هو الشاعر الذي عاش في زمن عبد الملك بن مروان (رحمه الله)، وينظر الديوان / ١٩٤.

٢٣- الجدث : القبر.

٢٤- فروقه : شديد الفزع ن ويصفها بالشجاعة والجسارة.

٢٥- البلقع : المكان القفر، وتستخدم بصيغة الفعل (بلقع البلد).

٢٦- معجم مقاييس اللغة – لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) –تحقيق – عبد السلام محمد هارون – دار الكتب العالمية – مج ٢ – ج٢ / ١٧٥.

٢٧- لسان العرب – للأمام العلامة – أبن منظور – طبعة وصححه بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين – دار الحديث – القاهرة – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ – مج٣ – ج٣ /٥٦.

٢٨- ينظر ديوان شعر الخوارج / ٢٥٥ (١٤).

٢٩- ينظر الكامل – أبو العباس محمد بن يزيد المبرد – تحقيق – احمد محمد شاكر – ط (١) مطبعة البابي الحلبي – ١٩٧٣ – مطبعة مصر تعليق – محمد أبو الفضل إبراهيم – ج٣ / ٩١٠ – ٩١١.

٣٠- م : ن – ج١ / ٢٥٤.
٣١- مروج الذهب ومعادن الجوهر – أبو الحسن المسعودي – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – ط (٢) – مطبعة السعادة – ١٩٤٨ – ج٣ /١٤٧.
٣٢- الفرق الإسلامية في الشعر الأموي – النعمان القاضي / ٤٣٥.
٣٣- الأغاني – ج٦ /٥.
٣٤- ينظر شعر الخوارج /٦٨.
٣٥- تاريخ دمشق – ابن عساكر – مخطوطة دار الكتب المصرية – ج٣ /٤٣٦.
٣٦- لسان العرب – إبن منظور (مادة غزل) مج٦ – ج٦ /٦٢٠.
٣٧- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده – القيرواني (ت٤٥٦هـ) – مطبعة السعادة – ط (٣) – ١٩٦٣ – مطبعة حجازي القاهرة – ط(١) ١٩٣٤ –ج٢ /١١٠.
٣٨- نقد الشعر – لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت٣٢٧ هـ) – القسطنطينية – ١٣٠٢ هـ /٤٢.
٣٩- الروم :٢١.
٤٠- ينظر الغزل في عصر صدور الإسلام – حسن جبار محمد – رسالة ماجستير – كلية التربية – البصرة – ١٩٨٨ /٥٠.
٤١- ينظر صورة المرأة في الشعر الأموي د. محمد حسن عبد الله – ذات السلاسل – للطباعة والنشر والتوزيع – الكويت – ط(١) – ١٤٠٧ – ١٩٧٨ / ١٠١.
٤٢- ينظر م : ن / ١٢٦.
٤٣- هو احد شعراء الخوارج، وعاش في زمن الخليفة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وينظر ديوان شعر الخوارج /٤٩.
٤٤- هو احد شعراء الخوارج، وعاش في نفس الفترة مع الشاعر الأول، وينظر م : ن/ ٥٠.
٤٥- هو أحد شعراء الخوارج، وعاش في زمن الخليفة (عبد الملك بن مروان) (رحمه الله) حتى أواخر الدولة الأموية، وينظر الديوان / ٢٠٨.
٤٦- ينظر شعر الخوارج /٧٨.

٤٧- ينظر م :ن / ٩٨.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- بلاغات النساء – لأبي فضل احمد بن أبي طاهر الملقب بطيفور (ت٢٨٠) – دار النهضة الحديثة – بيروت – لبنان – ١٩٨٢.

٢- تاريخ دمشق – ابن عساكر- مخطوطة دار الكتب المصرية – ج٢.

٣- ديوان شعر الخوارج – جمع وتحقيق د. إحسان عباس – دار الشروق –ط(٤) ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢.

٤- شعر الخوارج – دراسة فنية موضوعية مقارنة – د. عبد الرزاق حسين – دار البشير – عمان – ط (١) – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦.

٥- شعر المرأة في القرن الأول الهجري – أغراضه ومميزاته الفنية – د. شاكر محمود السعدي – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م.

٦- صورة المرأة في الشعر العربي الأموي – ساجدة الحيالي – رسالة ماجستير – كلية التربية للبنات – جامعة بغداد – ١٩٨٨.

٧- صورة المرأة في الشعر الأموي د. محمد حسن عبدالله – ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع – الكويت – ط (١) ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧.

٨- العقد الفريد – ابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨) شرحه وضبطه – أحمد أمين مطبعة لجنة التأليف والنشر – القاهرة – ١٩٤٨ – ج٢.

٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) مطبعة السعادة – ط (٣) – ١٩٦٣ – مطبعة الحجازي – القاهرة – ط (١) – ١٩٣٤ – ج٢.

١٠- الأغاني – لأبي فرج الأصفهاني – علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ) – مطبعة دار الكتب – وزارة الثقافة – ١٩٧٦ – مج٦.

١١- الغزل في عصر صدر الإسلام – حسن جبار محمد – رسالة ماجستير – كلية التربية – البصرة – ١٩٨٨.
١٢- الفرق الإسلامية في الشعر الأموي – النعمان القاضي.
١٣- قانون الأنثروبولوجيا – سليم شاكر مصطفى – جامعة الكويت ط (١) – ١٩٨١.
١٤- الكامل – أبو العباس محمد بن يزيد المبرد – تحقيق احمد محمود شاكر – ط (١) مطبعة البابي الحلبي – ١٩٣٧ – مطبعة مصر – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ج٣.
١٥- لسان العرب – للأمام العلامة – ابن منظور طبعه وصححه بمعرفة نخبه من السادة الأساتذة المتخصصين – دار الحديث – القاهرة – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ – مج ٣ – ج٣.
١٦- لسان العرب المحيط – ابن منظور – يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب – بيروت.
١٧- المرأة في الأدب العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة دكتوراه – واجد الأطرقجي.
١٨ – المرأة في الشعر الجاهلي – د. أحمد محمد الحوفي – دار الفكر العربي –مطبعة المدني – ط(٢) – بيروت – ١٩٦٢.
١٩- مروج الذهب ومعادن الجواهر – أبو الحسن المسعودي – تحقيق – محمد محي عبد الحميد – ط (٢) – مطبعة السعادة – ١٩٨٤ – ج٣.
٢٠ – نقد الشعر– لأبي فرج قدامة بن جعفر (ت٣٢٧ هـ) – القسطنطينية – ١٣٠٢هـ.